



القص واللصق في خطاب المستبدين والمطبعين والمهزومين

عريب الرنتاوي 14-02-2022 -

ملّة الاستبداد واحدة، قول قديم - جديد - متجدد

يأتي المستبد غير العادل، فلا مستبد عادلاً، على ظهر دبابه، أو في لحظة "غفلة" من الزمن... لا شرعية شعبية له، ثم يبدأ بإطلاق الوعود والتعهدات، التي يعرف هو أكثر من غيره، بأنه لن يفي بها، أو على الأقل، لن يفي بها طائفاً، تارة بالقول أنه سينهي مهمته الإنقاذية ويمضي، وأخرى، بأن أحداً غير منتخب، أو حاصل على الإجماع الوطني، لا يستحق أن يحل محله، ويتسلم الراية من بعده.

الجنرال عبد الفتاح البرهان، يؤكد ليل نهار، أنه باقٍ في السلطة، إلى أن يحظى السودان برئيس (أو حكومة) منتخبة... فهو وحده المؤتمن على ثورة الشعب السوداني، وهو الوصي عليه، والمؤتمن على المرحلة الانتقالية، لا أحد غيره، يحمل "رسالة" كهذه... مع أن الرجل، وحليفه في "حكم العسكر"، جنرال "الجنجويد"، هم من "فلول" نظام البشير، وجاءوا إلى الحكم على صهوة ثورة شعب مباركة، اختطفوها قبل أن ينقلبوا عليها قبل بضعة أشهر.

المفارقة، أن "زعيماً" مدنياً في دولة مجاورة، ليبيا، يكرر قولاً مشابهاً، عبد الحميد الدبيبة، الذي جاء إلى رئاسة الحكومة لأداء مهمة محددة، الإشراف على انتخابات عامة، فشلت المهمة، وباتت في غياهب المجهول، لكن الرجل ظل في موقعه، رصيده في عالم "البيزنيس" جيد، وعلاقاته بأنقرة متميزة، لكن أحداً لم يظن يوماً، أن الرجل سينظر لنفسه على أنه "المخلص" لليبيا و"المنقذ" لشعبها.

الدبيبة هذا، لن يغادر موقعه، هكذا قال قبل تعرضه لمحاولة اغتيال فاشلة، ولا ندري ما الذي سيكون عليه موقفه بعد المحاولة... الرجل لن يسلم السلطة، إلا لحكومة منتخبة، في عملية "قص ولصق" لتصريحات البرهان، مع أنه جاء في لحظة "غفلة" و"استقطاب"، لا تجعل منه "مهدي ليبيا المنتظر".

المطبعون

دولٌ عربية وإسلامية، اختارت تطبيع علاقاتها مع إسرائيل، لأسباب تتصل بحساباتها ومصالحها، مصالح الدول أو الحكام، لا فرق، ضاربة عرض الحائط بمبادرة السلام العربية المقررة بإجماع إسلامي، لكنها وهي تفعل ذلك، تحرص على الزعم بأن ما تقوم يمثل خدمةً جليلاً للشعب الفلسطيني وقضيته... في المقاطعة يخدمون فلسطين وفي التطبيع يخدمونها كذلك، ودائماً باستخدام أسلوب قص الخطاب القديم ولصقه من جديد... أية



مفارقة هذه؟

مولود جاويش أوغلو، وزير خارجية تركيا، قال إن موقف بلاده من القضية الفلسطينية لن يتغير جرّاء "هرولتها" للتطبيع مع إسرائيل، بعد عقد من المناكفات، ظلت خلاله التجارة بين البلدين في أوجها... هذا ليس بالأمر الغريب أو الجديد... لكن أوغلو رأى أن عودة الروح للعلاقة التركية مع إسرائيل، سيساعد أنقرة على بذل جهود مخلصّة ومكثفة، لإحياء مسار تفاوضي ينتهي بتجسيد "حل الدولتين"... أي أنهم يقدمون على التطبيع وفي صدارة أولوياتهم، تمكين الشعب الفلسطيني من نيل حقوقه الوطنية المشروعة.

قول كهذا، استمعنا لمثله قبل أزيد من عام، عندما خرج نظيره الإماراتي بتصريحات مماثلة: لا تغيير في الموقف الإماراتي من القضية الفلسطينية، وأنهم يقدمون على التطبيع بهدف وقف الضم والزحف الاستيطاني... التطبيع يتواصل فصولاً بين الدولتين، فيما الزحف الاستيطاني يتقدم كذلك على مختلف الجبهات: القدس، بيت لحم ونابلس... والأهم أن "وقف الاستيطان" لم يعد مدرجاً أبداً، على جدول أعمال علاقاتهما الثنائية، ولم يكن يوماً.

ناصر بوريطة، وزير خارجية الدولة التي تقود لجنة القدس في منظمة التعاون الإسلامي، كان الأقل "ثرثرة"، وتلويحاً بـ"قميص عثمان" الفلسطيني... لكن الأمر لم يخلُ من تجديد الالتزامات اللفظية القديمة بالحفاظ على الطابع التاريخي والقانوني للمدينة، فيما المستوطنون والمتطرفون، يكتفون هجماتهم على الشيخ جراح وسلوان، الحيين المقدسين، ويزداد عدد وعديد الانتهاكات والمنتهكين لحرمة المسجد الأقصى.

القضية الفلسطينية طالما استخدمت كـ"قميص عثمان" في السجلات العربية والإقليمية البينية، لكنها اليوم، تتحول إلى "ورقة توت" للتغطية على "هرولة" إقليمية متسارعة، للنزول عن قمم الأشجار التي صعد إليها مهرجون وديماغوجيون وشعبيون ومستبدون.

المهزومون

أصحاب المشاريع الوطنية والقومية، الذين ألحقوا أمدح الضرر و"الإعاقة" بمشاريعهم، ما زالت لديهم القدرة على استخدام الخطاب "الثوري" القديم، في التغطية على الواقع "المتهافت" الجديد، وغالباً باستخدام "القص واللصق"، فهم كسالي لا يأبهون كثيراً لتجديد خطابهم ليتوافق مع خصائص المرحلة الجديدة وحساباتها

نظام الرئيس السوري بشار الأسد، كفّ عن "القص واللصق" لفرط ما فعل، وبعد أن أصاب الأعياء الناطقين باسمه... في إثر كل ضربة جوية أو صاروخية إسرائيلية في العمق السوري، تخرج علينا البيانات المتهتدة



والمتوعةدة، مصحوبة بعبارة: نحتفظ بحق الرد في الزمان والمكان المناسبين...كثرة الضربات الإسرائيلية وتلاحقها السريع، جعل من الصعب الاستمرار في عمليات "القص واللصق" فتوقف القوم عنها.

السلطة الفلسطينية، ومرجعيتها وحاضنتها، منظمة التحرير الفلسطينية في وضعية "هزيمة"... مشروعها الوطني يتآكل ويتقهقر، شعبيتها بلغت دركاً سُفلياً غير مسبوق، "متوالية" انقساماتها لا تنتهي، فبعد الانقسام الأخطر والأطول بين فتح وحماس، ها هي المنظمة تنقسم على نفسها، وتتبادل "حرب الشرعيات" على خلفية الاجتماع الأخير للمجلس المركزي، فيما حال فتح، العمود الفقري، ليس أفضل عشية المؤتمر الثامن للحركة، المقرر في الأسبوع الرابع من الشهر الثالث.

بيانات هيئاتها القيادية منذ العام 2015، تكاد تكون "قص ولصق"، بعضها عن بعض، تماماً مثل تصريحات المستبدين والمطبعين، التي تتناسخ وتتناسل، أحدها من الآخر... يكفي فقط أن تستحدث تغييراً طفيفاً على تاريخ صدور البيان، حتى يصبح صالحاً لكل زمان ومكان.

"تعليق" الاعتراف بإسرائيل، التحلل من الاتفاقات المسبقة، وقف التنسيق الأمني، الخروج من عباءتي أو سلو وباريس، مع الجملة "اللازمة" في كل بيان: تفويض اللجنة التنفيذية بفعل ما يلزم، وبلورة ما يقتضي من إجراءات وآليات لتنفيذ هذه القرارات، على أن تكون في خدمة "الصالح العامل".

سبع سنوات على صدور أول نسخة من هذه البيانات، لم يُعلّق الاعتراف ولم تنسحب السلطة من الاتفاقات المسبقة، فيما التنسيق الأمني يبلغ مديات جديدة، غير مسبقة من قبل.

سبع سنوات من عمليات "القص واللصق"، لم تكن كافية لبلورة الإجراءات والآليات المطلوبة لتنفيذ قرارات "أعلى جسم قيادي" في النظام السياسي الفلسطيني... سبع سنوات عجاف، لم تمكّن "القيادة الفلسطينية" من تعريف "الصالح العام"، فهو صباحاً بالالتزام بقرارات المجلسين الوطني والمركزي، ومساءً بالتحلل منها، فلماذا يفاجأ من تقاطر إلى رام الله لحضور الاجتماعات، بهذا التجاهل الشعبي (الفلسطيني) والسياسي، الإسرائيلي والإقليمي والدولي، لنتائج اجتماعاتهم والقرارات المنسوخة الصادرة عنها؟

قبل بضعة أشهر، وفي خطاب له أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، "منح" الرئيس عباس إسرائيل مهلة عام واحد لإنهاء احتلالها وتمكين الشعب الفلسطيني من إقامة دولته المستقلة...الاحتلال يتكرس يوماً إثر آخر، وإسرائيل ترفض الانخراط حتى في "مفاوضات عبثية" كتلك التي امتدت لأكثر من ربع قرن... لا ندري إن كان سيعمد إلى "قص ولصق" خطابه ووعيده في الجمعية العام القادمة بعد سبعة أو ثمانية أشهر، (إن ظل في



العمر بقية)...يبدو أن الأمر مرجحاً فمن "قص ولصق" قراراته أكثر من خمس مرات، لن يجد عنناً ومشقة، في "قص ولصق" خطاب آخر.

* نشر في موقع الحرة